كاتب من تولستوي

احتفلت الاوساط الادبية في العالم المتحضر في الذكرى الـ ١٥٠ لمولد الكاتب الاساسي الكسيس تولستوي. استحقت عبقرية مؤلف "الحرب والسلام" الاهتمام لدرجة تجاوز الحرب الشيوعي مؤسس وقائد اول دولة اشتراكية في العالم الوف اللافتات لتحليل اعمال الكاتب تولستوي وكان لينين مغرما بـ "الحرب والسلام" لدرجة فكره خلال كتابه "الدولة والثورة" في الذي سبق اندلاع ثورة اكتوبر ذكرى مرور الدولة السوفييتية ذكرى مولد الشاعر فخرى طبع كتبه بالملايين النسخ، وتحولت تراثه الادبي كملكية لشعب الشعب الروسي وتاريخها الى تحويل الكاتب الكبير في باسا بالبانيا الى متحف وكذلك داره في موسكو

يقول لينين: "..ان تولستوي اذ وصف هذه الحقبة التاريخية من الحياة الروسية (من ١٨٦١ حيث الغي نظام القنانة الى ثورة ١٩٠٥) قد استطاع ان يطرح في مؤلفاته عددا كبيرا من المسائل الهامة، وان يسمو الى درجة من القدرة الفنية بحيث ان مؤلفاته نقلت احدى القديمة، واقيم للاديب العديد التماثيل في العديد من المدن السوفييتية.

لقد قام لينين بين عامي ١٩١٠ و ١٩١١ بتحليل الجانب الاكثر اهمية من ابداع تولستوي، من وجهة نظر طليعة الطبقة العاملة وقضية النضال ضد راس المال. وقد ظهرت سلسلة مقالات لينين هذه في "الاشتراكي الدمقراطي" و "طريفنا" و "جريدة العمال" وصحيفة "النجم" وكان السبب المباشر لتلك المقالات وفاة الكاتب العظيم عام ١٩١٠.. العرائب الاولى في كسر الادب العالمي. ان عهد اعداد الثورة في احد البلدان الرازحة تحت نير القنانة قد ظهر، بفضل عبقرية وصف تولستوي له، خطوة الى الامام في مضمار التطور الفني للانسانية جمعاء.

"وان تولستوي لم يبدع مؤلفات فنية فحسب ستقدرها الجماهير وتقرأها دائما عندما تخلق ظروف حياة جديدة بالانسان بعد ان تطيح بنير الملاكين العقاريين والرأسماليين، بل انه قد عرف ايضا كيف يعكس بقوة رائعة الحالة الفكرية للجماهير الواسعة المظلومة من قبل النظام القائم، ويصف وضعها ويعبر عن مشاعرها العفوية، مشاعر الاحتجاج والغضب ان تولستوي اذ يعود بصورة رئيسية الى الحقبة الواقعة بين ١٨٦١ — ١٩٠٤، قد جسد في مؤلفاته — كفنان وكمفكر وواعظ — ببروز مدهش سمات الاصالة التاريخية التي تميزت بها الثورة الروسية الاولى (١٩٠٥) بأكملها من قوة وضعف".

ولقد انعكس في مؤلفات تولستوي ما لازم حركة الفلاحين الجماهيرية بالذات من قوة وضعف، من سعة وضيق وقد كان احتجاجه الحار، المتحمس، والحار بلا هوادة في كثير من الاحيان على الدولة.. يعبر عن مزاج دمقراطية الفلاحين البدائية التي كدست فيها قرون من القنانة، ومن تعسف الموظفين ونهبهم.. ومن الاكاذيب والمخاتلات، جبالا من الحقد العارم والغضب. ان رفضه الشديد للملكية الخاصة للارض يعكس نفسية جماهير الفلاحين في تلك اللحظة التاريخية.. وان فضحه الدائم للرأسمالية، بأعمق الشعور واشد الاسماء، يفصح عن كل رعب الفلاح البطريركي الذي اخذ يرحف عليه عدو جديد خفي، غير مفهوم باتى من مكان ما من المدينة او من الخارج ويتوس جميع "دعائم" الحياة الريفية ويحمل معه خرابا لا مثيل له والبؤس، والموت جوعا، والعودة الى الحالة المتوحشة، والدعارة والسفلس..

"غير ان هذا الجمع المتحمس والمتهم المندفع، والمتأنق الكثير قد اظهر في الوقت ذاته في مؤلفاته عدم فهم لاسباب الازمة الراهنة على روسيا، ولوسائل الخروج منها وهو امر

جدير بالفلاح البطريركي السادج فقط لا يكاتب اوروبي الثقافة ان الكفاح ضد الدولة الاقطاعية والتوليسية، وضد الملكية قد تحول عنده الى انكار لنسائه، وادى الى مذهب "عدم مقاومة الشر"، وانتهى به الامر الى ان ابتعد ابتعادا كليا عن نضال الجماهير الثوري في سنوات ١٩٠٥ — ١٩٠٧ وكذلك جمع تولستوي بين فضح الرأسمالية والنكبات التي تعود بها على الجماهير، وبين اللامبالاة التامة تجاه النضال التحرري العالمي الذي تخوضه البروليتاريا الاشتراكية العالمية.

ان التناقضات في وجهات نظر تولستوي ليست تناقضات فكره الشخصي وحده، وانما هي ايضا انعكاس للظروف والتأثيرات الاجتماعية والتقاليد التاريخية، المعقدة والمتناقضة بالغ التعقيد والتناقض والتي حددت نفسية مختلف الطبقات ومختلف اوساط المجتمع الروسي في الحقبة التالية للاصلاح (الغاء القنانة ١٨٦١) ولكن السابقة للثورة.

لقد كان تولستوي باصله ونشأته ينتمي الى قمة النبلاء الروس العقاريين، الا انه قاطع جميع الآراء المألوفة لهذه البيئة ودمج في مذهبه احتجاج الفلاحين ويأسهم وصوفيتهم ورغبتهم في الفرار من الدنيا و "عدم مقاومة الشر".

ان ممثلي الحركة العمالية المعاصرة يعتقدون ان هناك ما يجب الاحتجاج عليه ولكن ليس ثمة داع للياس ان الياس يلازم الطبقات المحتضرة سيما طبقة العمال تنمو وتتطور، وتنوى بصورة حتمية في كل مجتمع رأسمالي. ان الياس يلازم من لا يفهمون اسباب الشر، من لا يحدون مخرجا، من هم عاجزون عن النضال. وان البروليتاريا الصاعدة في اماما لا تسعى الى هذه الطبقات.

وان الشعب لن يظفر بتحرره الا عندما يفهم انه يسعى له ان يتعلم كيف يناضل في سبيل حياة افضل، لا من تولستوي، بل من الطبقة التي لم يفهم تولستوي دورها والتي هي وحدها القادرة على ذلك العالم القديم الذي كان يكرهه تولستوي، اي من البروليتاريا

يقول تولستوي: "لا يوجد قانون عام لحركة البشرية الى امام وهذا يبرهن عليه بنال الشعوب الشرقية الراكدة وهكذا فان النزعة التولستوية بمضمونها التاريخي الحقيقي هي ايديولوجية النظام الشرقي، النظام الاسيوي. ومن هنا نجم عنده التنسك، وعدم مقاومة الشر بالضعف، وبوادر التشاؤم العميق، والاعتماد بان "كل شيء عدم" لقد ظل تولستوي امينا لهذه الايديولوجية في رواية "سونات كروتزر" اذا يقول: "ان تحرير المرأة لا يتحقق في الجامعات ولا في البرلمانات، بل في غرف النوم" وكذلك فقد عارض تولستوي التعليم الجامعي لان الجامعات لا تعد غير "الليبراليين المنزعجين المرضى" الذين "لا شأن لهم بالشعب"..

ان سنة ١٩٠٥ كانت بداية نهاية الركود "الشرقي" ولهذا السبب بالضبط كانت هذه السنة تضع حدا تاريخيا للتولستوية ان مذهب تولستوي طوباوي، هو بمحتواه رجعي الا انه لا يستنتج من ذلك اطلاقا ان هذا المذهب ليس اشتراكيا او انه لا يحتوي على عناصر نقدية تقدم مواد ثمينة لتثقيف الطبقات المتقدمة

اعداد — محمد الشراري

كوتوزف احد ابطال قصة الحرب والسلام يحي قواته

موسم الغربة

محمد ابو حمام

حبيبتي ان في عينيك اغنية الوهج
الضائع، فانا الوهج..
حبيبتي تحاورت الحيرة ...
وجرحت القلب فانا القلب
فاى الفرسان تخاربن ....
احبيبتي ؟؟ انت سمراء. انت سمراء
وانا القيد لاحلك .. احبيبتي
احبيبتي ؟؟
هموا الغرباء جاؤوا من البعيد
جاؤوا عبر مراكب البحر الغريبة
والشرقية فحكوا للساحل القصص
وحكوا للساحل الاناشيد الفراغية
حبيبتي. انا بعينيك مصلوب
ورغم الصلب ارتل اغنيتي ترتيلا ازليا
ارتل اغنيتي لكني متخاذل
مغترف بالنوم لحد الافراط
ارحوك ان تجعل هذا الواقع
يعشق وجه البطرنه
اقولها .. وما زلت اقولها
ان العشاق وصلوا ...
وانت .. انت .. انت
مازلت تصرخين .. تلوحين
بيديك على سطح البحر
والخصلة من شعرك
ترسم وقع الامواج على وجه الفضية
ينبت العشب
وهيهات تسعفني اعترافاتي
فانا اعترف . بان وجه الارض
مقلوب يا جسد الهيكل
من عهد التشريع لعهد التنابذ
حبيبتي .. مازلت على الشاطئ
حافي القدمين عارى الجسد .. لي
رغبة في العوم
لكن الغرق ينتابني من كل جانب
لكن طفولتي اجهضت ولادتها
والتفكير بها غلطة عمر هاملتية
المشهد انك تتعاطين الغرق
في موسم الغرباء مع البحر
وانا ارقب المشهد
وما زلت اصر على انني شر البلية
اما انت ففيك المقاومة الحطينية
منذ الان انا اكره نفسي
واكره المتواكلين
واكره الصمت الذي يفتك بالقضية
والملايين الكثيرة
تشاركني بالسفالة
تشاركني بالنظر لنهديك المكشوفة
وجميع الغرباء
يزورون الحقائق .. الحقائق يا
حبيبتي
وما اقسى السوط
وانا ازرع القمح بجوف الرمل
واقسم ان تبقى رؤوس السنابل
عالية.

البريد الثقافي

نوصف الدولة الاشتراكية، الاتحاد السوفييتي بشكل خاص، بانها دولة الشعب باسره فما هو الاختلاف في هذا عن دكتاتورية البروليتاريا؟

في البداية ينبغي توضيح ماذا تعني مقولة دكتاتورية البروليتاريا. فهي مصطلح في العلوم السياسية يعبر عن سيطرة الطبقة العاملة على السلطة الدولة — والمجتمع الاشتراكي يقوم دفعة واحدة، وبين الرأسمالية والاشتراكية تقع مرحلة انتقالية تجرى فيها التحولات الثورية من القديم الى الجديد. وتصف الماركسية السياسية الدولة في هذه المرحلة بانها الدكتاتورية الثورية البروليتارية.

بكلمات اخرى فدكتاتورية البروليتارية هي سلطة الطبقة العاملة في التحالف مع الفلاحين والجماهير الكادحة عموما، تبني مجتمعا جديدا، مجتمعا بدون استغلال.

فما هي اهداف ووظائف هذه السلطة؟ ان الهدف الاساسي التي تحققه البروليتارية تحقيقه وهو هدف سلطتها الاساسي — هو خلق اقتصاد اشتراكي جديد، محو الطبقات المتناحرة واجتثاث مسببات استغلال الانسان لاخيه الانسان، وثورة ثقافية.

وللوصول الى هذه الاهداف كان على حكومة العمال في روسيا — مثلا — تأميم الاقتصاد بكل السرعة الممكنة، تحطيم ماكينة الدولة القائمة وبناء اخرى جديدة. حيث حرمت العناصر المعادية الرأسماليين واسياد الارض الاقطاعيين من العمل في اجهزة الدولة الجديدة وجردتهم من حق التصويت. ولم تتجاوز نسبة هؤلاء اثنين الى ثلاثة بالمئة من مجموع المواطنين، ولكن الثمانية وتسعين بالمئة — الغالبية الساحقة — امسكت لاول مرة في التاريخ بالامكانية الفعلية للمشاركة في تسيير الدولة. ففي دوما الدولة — برلمان القيصر — كان هناك فقط ما يقرب من الدزينة من العمال والفلاحين ووجود فلاح واحد من بين اكثر من ٤٠٠ عضو. اما الباقي فكانوا اقطاعيين، رجال دين، رأسماليين وتجار. وبعد الثورة الاشتراكية المنتصرة ادار العمال والفلاحون السوفييتات وهي هيئات السلطة الجديدة على جميع المستويات، لتعطي الدمقراطية الحقة للغالبية الساحقة من المواطنين.

من ناحية اخرى فان الموظفين الرأسماليين السابقين، المهندسين، ضباط الجيش، لم تجر الحيلولة بينهم وبين المشاركة في حياة وطنهم. فقد عرضت عليهم الوظائف وكثيرون منهم تعاونوا مع السلطة السوفييتية. ففي عام ١٩١٩ على سبيل المثال التحق للعمل في الجيش الاحمر ٣٥ الفا من الضباط وجنرالات الجيش القيصري السابق.

يسجل التاريخ عددا من الفترات القصيرة التي استخدمت فيها الطبقة العاملة العنف الثوري لانتزاع السلطة من المستغلين. لكن ذلك ليس كافيا. فاستخدامه يجب ان يستمر لحماية الثورة من اعدائها. لناخذ مثلا كومونة باريس سنة ١٨٧١ الدولة الاولى للبروليتارية في التاريخ حيث شن برجوازيو الثورة المضادة حربا اهلية على البروليتاريا واغرقوا الكومونة في حمام من الدم.

كما يحسن استذكار ما حدث في روسيا في السنوات الاولى للسلطة السوفييتية، العدد الهائل من المؤامرات والعصيانات ضد الاصلاحات الثورية، ثم الحرب الاهلية بعد ذلك كلها دبرتها البرجوازية الروسية والعالمية. وكما يمكننا ان نتذكر القمع الوحشي للثورات البروليتارية في المانيا ١٩١٨، وفي المجر ولاتفيا ١٩١٩ — والثوريون على عكس اعدائهم لا يلقون بكامل ثقل سلطتهم على كاهل اعدائهم وفي ذلك كان هلاكهم.

والبروليتارية الروسية ايضا عاملت الطبقة المهزومة بلطف. فبعد ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ مثلا لم يامر احد بحل الاحزاب البرجوازية وفقط الارهاب والعنف ومحاولة الاعتداء على حياة لينين، واغتيال قادة سوفييت. مشهورين"، اجبر الحكومة السوفييتية على اتخاذ اجراءات مضادة — وكما قال لينين فانه في البلد الذي يسلك فيه البرجوازيون مسلكا عقلانيا فان عمل الحكومة البروليتارية يكون اكثر سهولة

واليوم فان مجتمعا اشتراكيا متطورا كما وصفه لينين سنة ١٩١٨، قد تم بناؤه في الاتحاد السوفييتي. وهو يعرف على انه المجتمع الذي ضربت فيه الاشتراكية جذورها الثابتة جميع مجالات حياة المجتمع، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، والثقافية.

ومع بناء الاشتراكية فان دولة دكتاتورية البروليتاريا تتحول تدريجيا الى دولة الشعب باسره، منظمة سياسية لكل المجتمع تلعب الطبقة العاملة فيه الدور القيادي. وبزوال الطبقات المستغلة تلغى وظيفة اخضاع معارضتها، وتصبح الوظائف الرئيسية للدولة الاشتراكية هي تنظيم وادارة الاقتصاد، الارتقاء بالتعليم، والتقدم الثقافي والتطور بكل السبل. وهذا هو الفرق الرئيسي بين دولة الشعب باسره ودكتاتورية البروليتارية